صانعو الاستراتيجيات مدخل لدراسة الفكر الاستراتيجي العالمي

تأليف:أ.م.د. علي فارس حميد

دار الرافدين- بيروت - لبنان 2018

د.عباس سعدون رفعت

قد لايخفى على المتلقي اهمية المؤلفات التي تتناول موضوعة الاستراتيجية والولوج في كنه هذا المصطلح(القديم) بمفهومه(الجديد) باستعماله، لاسيما في الوقت الراهن نظرا لما شهدته الاستراتيجية من سيولة في تناولها وسعة في استخدامها، فهي لم تعد حكرا على علم معين بذاته وانما انفتحت على جملة من العلوم والتطبيقات سواء اكانت انسانية ام علمية، وقد لا نجانب الحقيقة عندما نقول ان الاستراتيجية اصبحت من التعابير المعقدة والمثقلة بالتفسيرات المتعددة، والواقع ان كتاب "صانعو الاستراتيجيات، للدكتور علي فارس ،والذي صدر حديثا، قد مثل احد الدراسات العميقة والجادة التي جمعت بين النظرية والتطبيق، فالكاتب جمع بين القديم والجديد لمفهوم الاستراتيجية وربط بين المفاهيم والمحددات الكلاسيكية والمعاصرة ليواكب تطورات الاستراتيجية عند المنظرين والدول على حد سواء، وقد يصح القول انه مع كثرة الدراسات المقدمة بشان الاستراتيجية ومدلولاتها، الا ان هذه الدراسة تناولت الموضوع بجدية وبعين ثاقبة متلافية الاسفاف والاطالة، مركزة على جملة من الحقائق والثوابت في انعكاس الاستراتيجية على النظام السياسي الدولي،مستخدما المنهج العلمي في التحليل والتنظير، فضلا عن الاستعانة بالمصادر والمراجع المعتبرة بهذا الشان، ولاغنى عن القول في ان المتصفح للدراسة سيجد فائدة جمة، نظرا لكمية الافكار المتدفقة وزخم المعلومات المتوفرة، الى جانب سلاسة في اللغة وعمق في

المعنى، وقد لااجد غضاضة في نفسي عندما اؤكد على اهمية المؤلف الذي تناول الاستراتيجية بالبحث والتحليل، ويبدو انه من الجدير بالذكر هنا ان ندون مقولة استاذنا الدكتور كاظم هاشم نعمة فيما يخص اهمية الاستراتيجية، فمنذ الحرب العالمية الثانية اكتظت ادبيات السياسة الدولية بالدراسات الاستراتيجية الدولية والاقليمية والوطنية، وبات لامفر من التزود بمضمونها وتطوراتها من اجل مواكبت الانقلابية في شكل القوة واساليب توظيفها والاهداف الرامية لها، لقد احتفظت الحقيقة الجيوسياسية بأهميتها وفعلها في معادلة القوة الوطنية كما انها ماتزال في مستقر كل طروحات الامن القومي، ومع ذلك فان تغيرات توزيع القوة على الاصعدة الكونية والاقليمية اسبغت على الحقيقة الجيوبوليتيكية قيمة استراتيجية، لذلك ماعاد في وسع صناع القرار والمخططين له اسقاط المعطيات الجيوستراتيجية من تقديراتهم في العملية السياسية، لذلك قد يصح القول ان هذه الدراسة قدمت قسطا وافرا من الموضوعات التي تنطوي عليها الدراسات الاستراتيجية كي تعين الطلبة والمهتمين بهذا الشان فضلا عن اصحاب القرار.

لقد قسم الباحث كتابه الى ستة فصول، افرد الفصل الاول وعبر مبحثيه للولوج في غور الاجابة عن، ماهية الفكر الاستراتيجي، وماهي المقتربات المختلفة لتكوينه، اذ ترتبط دراسة (*)كلية العلوم السياسية–جامعة النهرين

الفكر الاستراتيجي كغيرها من دراسات الفكر في العلوم السياسية بالاطر الفكرية التي اسهمت في وضع المبادىء النظرية والمنهجية للفكر الاستراتيجي، ولكون الاخير يعتمد على دراسة الاستراتيجية كاطر منهجية لدراسته فقد خصص هذا الفصل لدراسة الاستراتيجية والفكر الاستراتيجي كاطار نظري والذي يساعد في فهم المنهجية التي تمت اعتمادها في الدراسة.

وقد خصص المؤلف الفصل الثاني وعبر مبحثين ليناقش ،تطور الفكر الاستراتيجي العالمي، اذ ان دراسة تطور الفكر الاستراتيجي العالمي يعد احد المداخل المهمة في هذه الدراسة،فالمبادىء التي تم اعتمادها من قبل القادة عبر مختلف الازمنة قدمت

منهجية واضحة لدراسة الاهداف الحيوية،فالتمييز بين الاهداف يمكن قياسه من خلال نماذج محددة تناولها الباحث بطريقة وضحت التفكير الاستراتيجي بالاهداف وكيفية تحقيقها.

اما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان، الفكر الاستراتيجي والجيوبوليتيكي (النقاشات والافتراضات)، اذ ماتزال نظريات الجيوبوليتيك وافتراضاتها النظرية تؤثر بالجملة في ذهنية مخططي الاستراتيجية المعاصرة، أذ لايمكن ان نؤكد ان هناك استراتيجية تخلو من مضامين التفوق الاستراتيجي الا وقد اعتمدت في جزء منها على الجغرافيا كمدخل لتحقيق ذلك، فتوظيف العامل الجغرافي يعد من اهم جوانب التخطيط الاستراتيجي للدول الكبرى.

ثم جاء الفصل الرابع تحت عنوان، تطور الفكر الاستراتيجي العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، فلقد ادت نهاية الحرب الكونية الثانية الى بروز حالة جديدة من التفاعلات الدولية،اذ انتقلت فاعلية التوازن الدولي من الدول الاوربية التقليدية الى نظام القطبية الثنائية، وبذلك انقسمت امكانات القوة الدولية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وتبلورت مرحلة جديدة لها قوانينها ومقترباتها،مما خلق جملة من المفاهيم والاستراتيجيات التي تتلائم مع هذه المرحلة،غير ان تفكك الاتحاد السوفيتي قاد الى خلق بيئة دولية جديدة خلقت معها معطياتها وقوانينها شكلت بجميع الحالات محاور مهمة في صياغة الاداء الاستراتيجي بعد الحرب الباردة.

وفي الفصل الخامس الذي جاء بعنوان، المقاربات المنهجية للفكر الاستراتيجي العالمي المعاصر، وبثلاثة مباحث،اذ بدات ملامح الفكر الاستراتيجي تتجه الى اعادة تعريف القوة وكيف تؤثر القوة العظمى حيال النظام الدولي مما اضاف اطر جديدة للتفكير الاستراتيجي وسعت من خلالها المدارس الفكرية مداخلها النظرية بهذا الشان.خاصة واقتران القوة والتاثير بالرغبة في وضع صياغات جديدة للنظام العالمي تاخذ على عاتقها نظريات التغيير ومايرتبط بها من استراتيجيات دولية فعالة في هذا الجانب.

واخيرا حمل الفصل السادس عنوان، الاطر النظرية الحديثة في دراسة الاستراتيجية (المداخل والافتراضات)، اذ لم يعد التفكير بالاستراتيجية يستند الى الاطر التاملية التي تهيمن على ذهنية القائد فحسب رغم اهميتها في هذا المجال،انما اصبح للتفكير بها اسس ومداخل نظرية يمكن من خلالها التعامل مع منطق المصالح والفرص وتنمية القابليات الذهنية للوصول الى افضل الاساليب في تحقيق الاهداف.اذ اصبحت الدراسات الاستراتيجية تهتم بشكل كبير بالمكونات التفصيلية التي تضمن التفوق والتاثير في البيئة الاستراتيجية،وهذا من شانه ان يجعل المتخصصين امام جملة من المبادىء التي تفسر العديد من الافتراضات في الدراسات الاستراتيجية.